الطبقات مرناً إلى حد كبير؛ فمثلاً، عمل عدد من كبار ملاك الأراضي بالتجارة، وأصبح العديد من التجار مالكي أرض. هذه التداخلات شملت المدينة والريف على السواء، وكانت لها آثار ملموسة على الوضع الاجتماعي والتوزع الديمغرافي للسكان. فعلى سبيل المثال، كان لحركة الانتقال غير المستقرة من الريف إلى المدينة وبالعكس، دوافع وآثار متعددة. إذ انتقل بعض الفلاحين من الريف لفترة محدودة، وبقيت اسرهم وجذورهم الاجتماعية في الريف. والبعض الآخر من المنتقلين، لم يتمكن من التكيف مع أجواء المدينة، أو كان أصلاً قد ذهب إليها بهدف العودة بعد فترة إلى الريف، لتأسيس محل بيع صغير مثلاً. كذلك لم تعط الصناعة القائمة فرص عمل لاستيعاب الكثيرين من هؤلاء الفلاحين المنتقلين.

وعلى الرغم من نشوء برجوازية محلية، في مطلع القرن العشرين، ظلّت طبقة الأفندية التي خدمت الامبراطورية العثمانية وهادنت الكولونيالية البريطانية، فيما بعد، هي الطبقة المهيمنة، سياسياً، على المجتمع الفلسطيني قبل الحرب العالمية وبعدها.

أما البرجوازية الوطنية الصاعدة، فإنها كانت ضعيفة في نشأتها إلى حد لم تستطع معه أن تشكل نفسها كطبقة بحيث تتسلم الدور القيادي في النضال الوطني آنذاك. وذلك لأنه كان عليها أن تكوّن ذاتها في ظل مواجهة لثلاث قوى مضادة لنموها، هي الحكم العثماني، أسياد الأرض المحليين، ورأس المال الأجنبي. وهي، في ظل هذا الواقع، لم تصل في مواجهتها لهذه القوى الثلاث إلى حد الصراع معها، بل اقتصرت في أساليبها الكفاحية على تأسيس الجمعيات السياسية السرية[٥٧]، والاعتماد على الشخصيات المتنفذة في سعيها لتحقيق أهدافها، وليس على دعم حركة الجماهير لها؛ ولمحدودية افقها السياسي وضعف بنيتها، توسمت في الامبرياليتين البريطانية والفرنسية تفهما لنضالها، في فترة قريبة لاحقة، دون أن تعي بأنهما في الواقع العدوان الحقيقيان لها.

---

(١) بدر الدين السباعي، **أضواء على رأس المال الأجنبي في سوريا (١٨٥٠ - ١٩٥٨)**، دمشق: دار الجماهير، ١٩٦٧، ص ٣.

(٢) **المصدر نفسه** ص ٤.

(٣) **المصدر نفسه** ص ٥.

(٤) **المصدر نفسه**.

(٥) W.I. Lenin: *Der Imperialismus als hôchstes Stadium des Kapitalismus.* in Werke, Bd.22, Berlin, 1960, S. 264.

(٦) السباعي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٥.

(٧) فلاديمير لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية الحديث** (ترجمة عفيفة البستاني). موسكو: دار التقدم، ١٩٧١، الفصل الأول.

(٨) **المصدر نفسه**، ص ١٤٦.

(٩) سعيد حماده (تحرير). **النظام الاقتصادي في فلسطين**، بيروت: جامعة بيروت الأميركية (منشورات كلية العلوم والآداب)، ١٩٣٩، ص ١٢.

(١٠) **تاريخ الأقطار العربية المعاصر ١٩١٧ - ١٩٧٠**، (مجموعة مؤلفين)، موسكو: دار التقدم، ١٩٧٥، الجزء الأول، ص ٢٠٥.

يُشار هنا إلى أن مصدراً آخر قدرهما بنسبة ٨٠٪، أي أعلى من الثلثين. أنظر:

Autorenkollektiv, *Geschichte der Araber*, Bd.3. Berlin: 1947. S.161.

(١١) ابراهيم مالك، «نظرة أولية على الحالة الاجتماعية في فلسطين قبل أحداث ١٩٤٨»، **الاتحاد** (حيفا)، العدد ٣٦/٢، ٨ أيار (مايو) ١٩٧٩، ص ٣.

(١٢) لمزيد من التفاصيل، أنظر: عبدالقادر ياسين،